العقيدة بين الفلسفة والوحي[1]

أما الجملة الأولى من كلام « لوبون » فهي مسلم بها لأن الإيمان فطري وهو الذي أطلق عليه كلمة « لا شعوري » وهذا الإيمان قد يُدّعم بالأدلة والبراهين فيصبح قوياً ثابتاً لا يتزعزع ، وقد يكتفي صاحبه بمجرد الاستسلام والتصديق . والذين لا تظهر ثمرات الإيمان في أعمالهم كالمخرّفين والمتنكبين عن الجادة هؤلاء تبرز علامات الإيمان الكامن في نفوسهم عند الشدائد والأزمات ، حين يفقدون كل حيلة يمكن الخلاص بها مما هم فيه من المآزق ، فيرجعون حينئذ إلى مصدر القوة العليا المهيمنة والمسيطرة على الكون كله ، والتي بيدها الضرر والنفع . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى « وإذامسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلاّ إياه » — « وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » .

غير أن « لوبون » لم يصب في سائر عبارته وذلك في نقطتين :

الأولى : قوله : ان العقيدة تكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل . .

وهذا كلام باطل لا أصل له من الصحة . . ذلك أن العقيدة كثيراً ما تقوم

(١) فقرة من اجابة الطالب (عبد الوهاب لطف زيد الديلمى) على بعض اسئلة الاختبار فى الدورة الصيفية لعام ٩٢ـ٩٣ .

Made With Pdf Office

بالبرهان والحجة ، ولم يكن هناك في العقيدة السليمة ما هو إيمان أعمى لا يعرف الإنسان ماهيته ولا حقيقته ، كما أن العقيدة الصحيحة لا تتعارض مع العلم والدليل . ولذلك يجمع علماء الإسلام على النظر والاستدلال في اثبات العقيدة بطريقة التفكر والتأمل في الكون ودقته ، ليُتوصل بذلك إلى الإيمان بخالق الكون . . وإن كان الخلاف بين العلماء قائماً على الاستدلال بالطريقة المنطقية والفلسفية ذات المقدمات والنتائج ، فيمنعها بعضهم مخافة الوقوع في الريب والشك ، وعدم القدرة على الوصول إلى الحق بطرق سليمة ، . .

ومما يرد على « لوبون » أيضاً أن الله تبارك وتعالى يأمرنا بالتوصل إلى معرفته بطريق العلم فيقول « فاعلم أنّه لا إله إلا الله » وقد مدح العلماء في مواضع عديدة كقوله تعالى « هـل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمـون » . . . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . . . « وما يعلـم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » — على أحد التأويلين في الآية . « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » . كما ذم ونعى على الذين يكتفون بأخذ عقيدتهم عن طريق التقليد « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

وأما النقطة الثانية فهي قوله « إذا استعان صاحب العقيدة على اثبات صحتها بالعقل استحالت علماً ومعرفة » .

فهو يفصم بين العقيدة والعقل ، ولا يريد أن يجعل للعقل مجالاً في اثبات العقيدة وهذا خطأ فادح . فإن الله تبارك وتعالى خاطب العقول كثيراً في ما لا أحصي من الآيات ، وذلك في مجال العقيدة والدعوة إليها كقوله عز وجل : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » والمراد بالنظر إعمال العقل في آياته الكونية . وقوله : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . . . « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الله الخلق . . . » . « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » « لقوم يتذكرون » . . . إلى غير ذلك . كما نعى على الذين لا يُعملون عقولهم وحواسهم في نشدان الحق « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها

Made With Pdf Office

ولهم آذان لا يسمعون بها » — « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون » — « ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » — « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

و« لوبون » يحول العقيدة التي أثبتها البرهان إلى علم ومعرفة . وأمّا عند المسلمين فلا فرق بين هؤلاء الثلاثة الأشياء : العقيدة ، والعلم ، والمعرفة .

ولعلّ مرد هذا الرأي الذي يقرره لوبون في تحديد العقيدة إلى العقيدة التي شب في أحضانها وترعرع على لبانها ، وهي العقيدة النصرانية التي تحرم النظر والسؤال والنقاش ، وتفرض التصديق الأعمى دون نزاع ولا جدال .. أمّا العقيدة الإسلامية فهي بعيدة كل البعد عن هذا المفهوم الخاطئ والتعريف السقيم الذي لا يمت إلى حقيقتها بصلة .

Made With Pdf Office